مشهد من الفصل الأول من :

قصر الهودج (*)

للأستاذ علي أحمد باكثير

[كان الخليفة الفاطمي الآمر بأحكام الله مغرماً بحب البدويات فسمع بجمال فتاة من بادية الصعيد فأرسل إلى أبيها يخطبها فرد الرسول ، فذهب بنفسه متنكراً كأنه رسول آخر من الخليفة . وطلب من أبيها أن ينفرد بسلمى ليفهمها بقبول الخليفة فوافق أبوها (الشيخ عمار بن سعد) . فلما خلا بها اجتهد بكل وسيلة أن يحملها تعدل عن حب ابن عمها (ابن مياح) وتقبل يد الخليفة الفاطمي ولكن سلمى أصرت على الاعتذار بحب ابن عمها ، وإيثار حياة البادية على حياة القصور . وعندئذ غير الرسول مهجته وقال لها :

الرسول (الخليفة نفسه) :

عِشْتِ يا سلمى طليقَهْ ... لستِ للمُدْنِ صديقهْ
لا تحبِّين مغانيـ ... ـها ولا الدُّور الأنيقه

سلمى (يبدو في وجهها السرور) :

ألطف الله بحالكْ ... قد فهمتَ الآن قصدى

الرسول :

كيف لا أفهم ذلك ... والذى عندكِ عندى ؟
أنا من رأيكِ يا سـا ... مى ومَيْلى مثلُ مَيْلِكْ
آهِ لو تسمح لى الأيـ ... ـام يا سلمى بِنَيْلِكْ !
أنتِ لى لستِ لغيرى ... وأنا لستُ لغيرِكْ
إن لى قلباً كقلبِكْ !

سلمى (مدهوشة) : عجباً ! هل أنت مجنون ؟

الرسول :

نعم يا نور عيـ ... ـنى أنا مجنونٌ بحبّك !
قَسَماً بالدُّرِّ فى ثَغْـ ... ـرِك والوردِ بخـ ... ـدِّكْ
إننى عبدُك يا سـا ... مى حنانيْكِ بعَبْدِكْ !

سلمى :

حَسْبك أخْرس ! قطع الله لسانك !

الرسول :

يا حياتى حفظَ الله زمانَكْ !

أتسبّين لساناً يتغنّى بعبيرِكْ ... وجمالِكْ . وشعاعِكْ ؟

سلمى :

بل لساناً كاذباً خنت به عهد أميرك ... باحتيالِك وخداعِك !

الرسول :

الأمير انسَيْه لا تُجرِيه يا سلمى ببالِك ... أو خيالِك
أنا خير منه يا سلمى وأولى بجمالِك ... ودلالِك !

سلمى :

آه لو يسمع ما قُلْتَ الملِك ... لحكَّ السيف من هذا الوجود !

الرسول :

كيف يمحو السيف صبًّا هام بكْ
حُبُّكِ الخالدُ أولاهُ الخلـ ... ـود ؟

سلمى :

سيف مولانا الخليفه ... سيُعافيكَ غداً من جنونِكْ !

الرسول :

ليس لى للقتل خِيفَه ... فلقد ذُقْتُ الرَّدَى من عيونك !

[يزحف نحوها ويقترب منها]

العيون السود هذى ... ما لها كُفْؤ سواى
والجبين الحُرُّ هذا ... ما له غير هواى !
فَمُك الحلوُ العقيقيُّ الجميلْ ... ما براه اللهُ إلا لفمى !

[تلطمه سلمى بكفها على وجهه]

لطمةٌ منكِ شـ ... ـفاء للعليل ... فأعيديها ... بروحى ودمى !

[وهنا استغاثت سلمى بأبيها فأراد الوثوب بالرسول فكشف له أنه الخليفة فارتاع الشيخ عمار]

عمّار (معتذراً) :

ما الذى ضرك لو أخبرتنا ... فاحترمناك أمير المؤمنين ؟

الخليفة :

شِئْتُ أن أشهد سلمى وأراها ... دون أن تعرف سلمى من أنا
علنى أُدرِك من سلمى رِضاها ... فإذا فُزْتُ به نلتُ المنى !
غير أنى خاب فيها أملى ... ولقيت الهجر منها والصدود
واشقائى ! كل هذى الأرض لى ... غير سلمى لم أفُزْ منها بجود !

سلمى :

لستُ يا مولاي إلا أمَتَكْ ... كيف تعصى أمةٌ سيدها ؟

(١) عنوان مسرحية شعرية غنائية (أوبرا) سنطبع قريباً

obeikandl.com